Al. Anbar University Journal for Humanities
مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية
P. ISSN: 1995-8463 E.ISSN: 2706-6673
Volume 20- Issue 2- June 2023 المجلد ٢٠- العدد ٢ – حزيران ٢٠٢٣

The important architecture works of the sultan Abdulhameed the second 1867-1909 in Baghdad

Prof. Dr. Saadi Ibrahim Al Darraji
University of Baghdad - Center of revival of Arabian science heritage
Email:
saadiib@yahoo.com
ORCID: 0009-0001-5702-9459

10.37653/juah.2023.137973.1163
Submitted: 13/01/2023
Accepted: 12/03/2023
Published: 01/06/2023
Keywords:
shrines,
mosques
takiys
domes
writings

Abstract:

This research deals with studying the important architecture works of the sultan Abdulhameed the second 1867-1909 in Baghdad .the research specializes with seven famous status that they had renewed at the last nineteenth century or at the beginning of twentieth .it documents these status by analytics descriptive study depends on visiting that is clear by diagrams and photos ,in addition to studying scenes and writings which kept these status historically to be subject of the study trying to save them from destruction or changing by some authorities for modern.

This study arrives to results that pleases the researcher to be benefit in the field of specialist academic study of the late Islamic archeology describing them to document important status in Baghdad and to describe religious archeology in Baghdad to make them series of recorded mosques and shrines in the field of archeology

©Authors, 2023, College of Education for Humanities University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أهم أعمال السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) العمرانية في بغداد

أ.د. سعدي ابراهيم الدراجي
جامعة بغداد- مركز إحياء التراث العلمي العربي

الملخص:

يُعنى هذا البحث بدراسة أبرز أعمال السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩م) العمرانية في بغداد، وقد خص البحث سبعة معالم مشهورة تم تجديدها وصيانتها في أواخر القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين.

يسعى البحث إلى توثيق هذه المعالم بدراسة وصفية تحليلية اعتمدت على الزيارات الميدانية، وتوضيح ذلك بالمخططات والصور، فضلا عن دراسة الشواهد والكتابات التأسيسية التي تؤرخ لهذه الابنية التي هي موضوع الدراسة. أملاً في حمايتها من أعمال الهدم والتغيير التي تقوم بها بعد الجهات بمسوغ الحداثة والتجديد.

لقد توصلت الدراسة إلى نتائج يرجو الباحث أن تكون مفيدة في مجال الدراسات الأكاديمية المتخصصة بالآثار الإسلامية المتأخرة، بوصفها توثق لمعالم مهمة في بغداد؛ وتُسهم في الكشف عن جوانب بارزة في العمارة الدينية لجعلها حلقة في سلسلة الجوامع والأضرحة المسجلة في عالم العمارة.

الكلمات المفتاحية: الأضرحة، المساجد، التكايا، القباب، الكتابات

المقدمة:

للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩م) أعمال عمرانية كثيرة منتشرة في مختلف البلاد التي خضعت لحكم الدولة العثمانية. ومنها البلاد العربية، إذ مازلنا نشاهد بعض العمائر الدينية والخدمية في العواصم العربية تحمل توقيع هذا السلطان، ومنها على سبيل المثال لا الحصر شواهد في مكة والمدينة المنورة والقدس وبغداد ودمشق وبيروت وعمان وطرابلس الغرب وغيرها من المدن والحواضر العريقة.

في هذا البحث سنورد أبرز أعمال السلطان عبد الحميد الثاني العمرانية في بغداد بعجالة ودون الاسهاب في التفاصيل الا ما هو ضروري للتوثيق. ولا سيما المؤكدة بكتابات تحمل اسمه، فمازالت بعض المعالم تحمل لوحات تأسيسية تشهد على أبنية منفذة في مدة حكمه وبأمره أو بموافقته ومن هذه المعالم:

١- الحضرة القادرية

٢- جامع السيد سلطان علي وضريحه
٣- جامع الخاصكي
٤- ضريح أبي بكر الشبلي
٥- جامع الشيخ معروف الكرخي وضريحه
٦- جامع العاقولية
٧- التكية البندجية

يسعى البحث الى توثيق هذه الامثلة من المعالم الدينية وحصر الاضافات اللاحقة التي استحدثت في العصر العثماني وبيان حالتها الراهنة. علماً أن جميع هذه الامثلة قديمة، بعضها يعود تاريخه الى العصر العباسي، وبعضه الاخر مبني قبل القرن التاسع عشر. والحق أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يبنِ في بغداد صرحاً جديداً وإنما أسهم في تجديد بعض الصروح القديمة بإيعاز منه الى الاوقاف السلطانية، أو بإصدار أوامره الى الولاة للقيام بذلك، ليس هذا فقط بل يكون الصرف على التجديد أحياناً بعد موافقة السلطان من أموال الناس المتبرعين، أو من إيرادات الاوقاف الخاصة بالمعلم نفسه كما هي الحال في تجديد بعض الاجنحة المتصدعة من أبنية الحضرة القادرية وإضافة برج الساعة اليها في عام (١٨٩٩م). علماً أن جميع المعالم التي وسمت بطغراء السلطان كانت جوامع فيها أضرحة لرجال صالحين وعلماء معروفين من الصوفية.

ومن أهم الامثلة المجددة أو المرممة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني التي مازالت شامخة في بغداد هي:

أولا: الحضرة الكيلانية:

تقتصر اعمال السلطان عبد الحميد الثاني في الحضرة الكيلانية على عملين؛ الاول: بناء رواق الشافعية، الثاني: يتمثل في بناء برج الساعة. إذ تذكر مصادرنا المعاصرة للحدث أن بناء الرواق المذكور قد أنجز بموافقة السلطان عبد الحميد فعندما زار السيد سلمان القادري نقيب الاشراف استانبول، رغب السلطان عبد الحميد ببناء شيء في الجامع، فعرض عليه أن يقوم بهذه الخدمة عوضاً عنه، فبنى رواق الشافعية الذي يتقدم بيت الصلاة من الجهة

الغربية[١]. (الصورة – ١) والحق أن السيد سلمان القادري قد جدد رواق الشافعة أو أعاد بنائه، لأنه موجود قبل هذا التاريخ.

أما برج الساعة الذي يقوم في الزاوية الشمالية الغربية من المصلى الصيفي، فهو مشيد في سنة (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م) وقد انشئ بموافقة السلطان عبد الحميد، كما تنطق الكتابة في اللوحة المنفذة على البلاطات الخزفية المثبتة فوق عقد المدخل في اعلى قاعدة البرج المواجهة للجهة الغربية. وهو من بناء السيد عبد الرحمن الكيلاني الذي ولي نقابة الاشراف في سنة ١٣١٦ – ١٣٤٥هـ (١٨٩٨ – ١٩٢٧م)[٢]. وقد حملت اللوحة توقيع السلطان عبد الحميد وهو على شكل طغراء ذهبية اللون منفذة على بلاطات مزججة باللون الازرق.

ويكتنف الطغراء من الاسفل والجانبين غصنان مرسومان باللون الذهبي، ويعلو الطغراء من الجهتين هلالان متقابلان وسط كل منهما نجمة بيضاء خماسية الرؤوس. واللوحة التي تؤرخ لبرج الساعة مذيلة باسم الخطاط والرسام عبد الجبار (رسمه عبد الجبار)[٣]. وقد أطرت اللوحة بأفاريز رفيعة ذات ألوان مختلفة؛ الأسود والذهبي ثم الفيروزي. (الصورة – ٢)

وعلى الجانب الآخر من القاعدة لوحة مستطيلة اخرى من القاشاني تؤرخ أيضاً لبناء برج الساعة قوام الكتابة فيها سطران بخط الثلث باللون الابيض على ارضية زرقاء، والكتابة مؤطرة باطار شذري اللون. وهناك اطار اخر في محيط اللوحة يشبه الاول. وبين الاطارين زخارف رسمت بالوان عدة. من بينها اصصان شغلا الفراغ على جانبي الكتابة يخرج من كل منهما غصن يحمل اوراق وازهار وورود. ونص الكتابة:

---

١ – الراوي، محمد سعيد ، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، (محقق) عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: دار الكتب العلمية، ، ٢٠١٣)، ١٤٧.

٢ – العلامة السيد عبد الرحمن الكيلاني بن السيد علي النقيب: الذي تولى نقابة الأشراف والأوقاف القادرية بعد وفاة أخيه سليمان، تبوء رئاسة الوزراء في العهد الملكي وتاريخ وفاته في سنة (١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م). أخذ العلم عن مشاهير علماء العراق آنذاك، منهم العلامة الشيخ عيسى البندنيجي، والشيخ المحدث داود النقشبندي، والعلامة الشيخ عبد الرحمن القره داغي وغيرهم. له مجلس مشهور يحضره العلماء والفضلاء والأدباء والأمراء والأعيان وله مؤلفات عدة. أنظر: الدروبي، ابراهيم ، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٨)، ١٠.

٣ – لعله الخطاط عبد الجبار خان زاده (ت١٩١٥) رئيس كتاب اوقاف بغداد في نهاية العصر العثماني.

١- وكان اكمالها في سنة سبعة عشر

٢- وثلاث مائة والف هجرية ١٣١٧

وتزين اعلى قاعدة البرج لوحة اخرى من البلاطات الخزفية كتبت باللغة العربية مع بعض الكلمات التركية العثمانية. والكتابة في هذه اللوحة تؤكد أن منفذ البناء هو السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب الاشراف في بغداد مكتوبة بخط_نستعليق بالون الابيض على ارضية زرقاء بواقع ثلاثة سطور[٤].

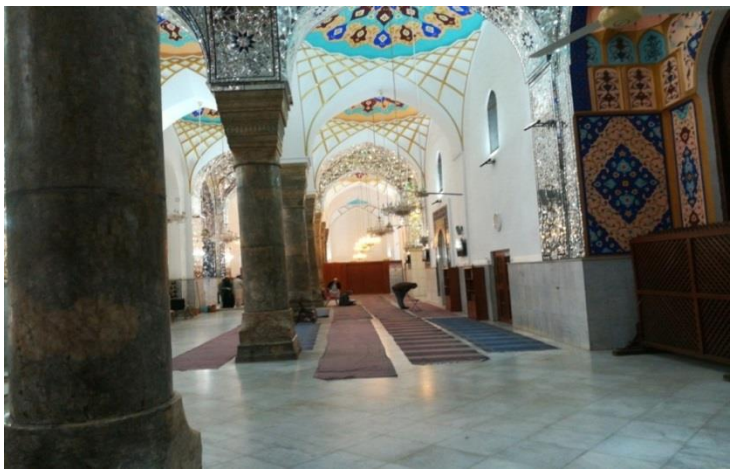

(الصورة – ١) رواق الشافعية في الحضرة القادرية بعد الصيانة

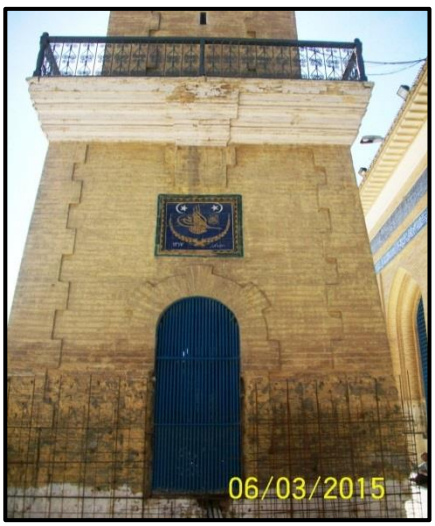

(الصورة – ٢) لوحة التأسيس

(الصورة – ٣) برج الساعة

٤ – على الرغم من وضوح معظم كلمات النص في هذه اللوحة، إلا أنه قد تعذر قراءة بعضها ولاسيما الكلمات التركية .

وفي الواجهة القبلية للبرج لوحة تأسيسية اخرى من البلاطات الخزفية قوامها ثلاثة سطور بخط النستعليق مكتوبة باللون الابيض على ارضية زرقاء. والنص واضح يؤرخ البناء في سنة (١٣١٧) في ظل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مع ذكر بعض ألقابه الرسمية والدعاء لدوام خلافته لآخر الزمان ونص الكتابة:

١- قد انشئت في ظل سلطان البرين وخاقان البحرين خادم الحرمين الشريفين أمير المؤمنين

٢- وخليفة سيد المرسلين حضرة السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني ابن حضرة السلطان

٣- الغازي عبد المجيد خان ادام الله تعالى خلافته الى آخر الزمان آمين سنة ١٣١٧.

ان برج الساعة في الحضرة القادرية مبني بالآجر والجص. يربو ارتفاعه على (٣٠م). وهو يقوم على قاعدة منشورية طول ضلعها من الاسفل (٤.٤٠م) وفوق القاعدة بدن يتراجع ليسمح ببناء شرفة بارزة عن سمت جدار القاعدة لها درابزين حديث الصنع من الحديد يحمي من السقوط. والبدن مزود بنوافذ على شكل فتحات شاقولية عددها (١٢) من كل جانب. تعلوه شرفة مغلقة تستند على كوابيل تحمل فوقها غرفة مربعة مزودة بأربع ساعات لضبط الوقت. والساعات محمية من الاعلى بشرفة اخرى مثمنة الشكل وللشرفة درابزين من الحديد ذات زخارف مختلفة. والبرج متوج بقبيبة مغلفة من الخارج بصفائح من النحاس وهي تقوم على ثمانية عقود مفصصة مفتوحة كي يتخللها الهواء. وقبة برج الساعة مثل قباب المآذن تحمل سفود معدني تتخلله ثلاث كرات والسفود متوج بهلال. (الصورة – ٣)

إن الصعود الى اعلى البرج يكون عن طريق سلم خشب يدور حول القاعدة المجوفة والبدن، يستعمل باستمرار للصيانة والتنظيف، فضلا عن مسح الساعات وتزيّتها بين الحين والاخر.

ومن الاعمال المنفذة في ظل السلطان عبد الحميد الثاني في الحضرة القادرية ايوان المدخل الرئيس في الجهة الغربية، إذ مازال يحمل كتابات تؤرخ للبناء مكتوبة على لوحة من البلاطات الخزفية تحمل طغراء السلطان وتاريخ تنفيذ العمل في سنة (١٣٢٢هـ) وهي تشبه اللوحة في برج الساعة، مما يؤكد أن الخطاط هو نفسه الذي كتب لوحات البرج.

وحول تاريخ الحضرة القادرية تؤكد مصادرنا أن أصلها مدرسة للحنابلة كانت تعرف

بمدرسة (باب الازج) انشأها شرف الملك أبو سعيد المخرمي في سنة (٥٤١هـ) ولما توفي الشيخ ابو سعيد جلس في مكانه الشيخ عبد القادر الكيلاني حتى وفاته في سنة (٥٦١هـ)، وقد دفن فيها فتغير اسمها، وتوسعت حتى أصبحت فيما بعد صرحا حضاريا مهما ومن المراكز الرئيسة للتصوف في العراق يقصدها الزوار من كل أنحاء العالم. وتخطيطها على شكل مجموعة أو خانقاه تضم جامعاً مسقفاً بقبة كبيرة تعد من أكبر القباب التي تغطي بيوت الصلاة في مساجد بغداد وجوامعها. وبجوار الجامع من الجهة الشرقية ضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني الذي تغطيه قبة أصغر من الاولى مزينة بالزخارف الجصية والمرايا[٥]. وامام بيت الصلاة والضريح أروقة واسعة أهمها رواق الشافعية ورواق الحنابلة ورواق الحنفية.

ان صحن الحضرة واسع فيه مصلى صيفي شغل جزء كبيرا من مساحته، ومئذنة اسطوانية مشيدة بالطابوق والجص مثل بقية أبنية الحضرة تعود إلى العهد الايلخاني. أما المدرسة التي اعيد بناؤها في السنوات الاخيرة فتضم مجموعة كبيرة من القاعات والغرف المخصصة لطلاب العلوم الدينية ومريدي الطريقة القادرية وهي تشغل مساحة واسعة من الأرض يتوسطها مسجد صيفي على شكل دكة عالية. كما يوجد في الحضرة القادرية ملحقات اخرى من اهمها المكتبة والمقبرة وسبيل ومطعم.

ثانياً: جامع السيد سلطان علي وضريحه (ت٥١٩هـ).:

ومن أعمال السلطان عبد الحميد الثاني العمرانية في بغداد تعمير الضريح المنسوب الى علي بن يحيى بن ثابت الرفاعي الذي اشتهر بين اهل بغداد بالسيد سلطان علي، وقد وصف بأنه "من المشايخ العظام والسادات الكرام، ومدفنه في بغداد مأوى الغرباء ومجمع الفقراء"[٦]. ولد في البصرة سنة (٤٥٩هـ) وتوفي ببغداد سنة (٥١٩هـ). تولى والده نقابة الطالبيين في البصرة وواسط والبطائح وتوفي والده وعمره سنة واحدة. وقد أتقن قراءة القرآن وعلم الشريعة والفقه وصحب خاله يحيى البخاري ودرس عليه وتزوج بفاطمة الانصارية بنت خاله فأعقب منها سلطان العارفين السيد احمد الرفاعي.

---

٥ – تبرعت شركة تيكا التركية في عام ٢٠١٨ بصيانة قبتي الضريح والجامع من الخارج مع صيانة شاملة دقيقة للزخارف الجصية التي تزين باطن القباب، وكذلك المرايا التي تغطي المقرنصات في الحنايا الركنية لقبة الضريح.

٦ – البندنيجي، عيسى صفاء الدين ، جامع الانوار في مناقب الأخيار والأعيان المدفونيين في بغداد وما جاورها من البلاد، (بغداد: دار الكتب العلمية، ، ٢٠١٣)، ٦٠٦.

وعلى الارجح أن هذا الضريح لم يكن في العصر العباسي وبعده سوى حجرة صغيرة على دجلة يزورها الناس، وقد تغير في العصر العثماني فأصبح له جامع تقام فيه الصلوات الخمس والجمع[٧] بيد أن الجامع المذكور أصبح في القرن التاسع عشر مندثرا أخنى عليه الدهر، فلم يبق من اثاره إلا مصلى خرب[٨] فجدده السلطان عبد الحميد الثاني بمسعى من شيخ الاسلام في السلطنة العثمانية أبي الهدى أفندي الصيادي (ت ١٣٢٨هـ) الذي أبان له أن في بغداد مرقداً يدعى السيد سلطان علي وهو والد الشيخ أحمد الرفاعي[٩]، وطلب منه الموافقة على إنشاء جامعٍ وتكية للرفاعية، فصدرت الإرادة السنية من السلطان في سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) فشيد له جامعاً مازال قائما ،يتألف من بيت صلاة يتقدمه رواق ينفتح على الصحن بعقود مدببة. وبيت الصلاة مقسم على ثلاثة بلاطات أوسعها الوسطى مسقفة بقبة منخفضة محمولة على اربعة اعمدة من الرخام[١٠]. وبناء الجامع مؤرخ بشريط كتابي بالخط النسخي شغل واجهة البناء من الأعلى وهو منفذ باللون الابيض على بلاطات مزججة بالأزرق، ولاشك في أن الشريط الكتابي الذي يؤرخ لبناء الجامع مجدد، إذ حافظ المجدِّدُ على النص الكتابي في الشريط القديم وأضاف في أسفله نصا آخراً يؤكد التجديد الأخير. وهو يشير الى تاريخ انجاز العمل في عام ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

لقد خلصت الينا صورة تمثل الباب الرئيس لجامع السيد السلطان علي وضريحه ، وهي على الارجح من الاعمال التي شهدها هذا الصرح في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، لكنها تهدمت عند توسيع شارع الرشيد في العهد الملكي. وقوامها مدخل واسع على شكل عقد مدبب مكسي ببلاطات خزفية، يتوسطه باب يقود الى الداخل. ويحف بالعقد من كل جانب شريط كتابي بالخط الكوفي يحمل آيات من القران الكريم[١١]. وتظلل المدخل من الاعلى

٧ – المصدر نفسه، ٦٠٦.

٨ – الراوي، خير الزاد، ١٣١.

٩ – يقول محمد بهجة الأثري، ان ما أدعاه بعض الكذابين أن علياً هذا هو والد أحمد الرفاعي بهتان. أنظر: اعلام العراق، (مصر: المطبعة السلفية، ١٣٤٥هـ)، ١١، هامش ١.

١٠ – عبادة، عبد الحميد ، العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، (محقق) عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: مطبعة أنوار دجلة، ٢٠٠٤)، ٢٩٦ .

١١ – الشريط على يسار الداخل كتبت فيه الآية ٢٦ من سورة آل عمران "قل اللهم ملك الملك توتي الملك من تشاء .....الخ "

شناشيل خشب تطل على الخارج بمجموعة من النوافذ المغشاة بالزجاج. والشناشيل كما تبدو في صور اخرى كانت تتقدم الواجهة كلها. وعلى كل من يمين ويسار المدخل دكة أعتاد الفقراء والمساكين الجلوس عليها. وتصميم هذا المدخل يذكرنا بمدخل جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وضريحه الذي تغير ايضا في العقود الاخيرة. وقد أظهرت الصورة أن هذه الواجهة كانت مزينة بدخلات على شكل أواوين صغيرة مسقفة بانصاف قباب وهي تنفتح على الخارج بعقود مدببة، وهذه الحنايا مزينة من الاعلى ببلاطات خزفية، وفوقها سلسلة من الحنايا الاخرى قليلة العمق متوجة بعقود مقطوعة من الآجر. (الصورة – ٤)

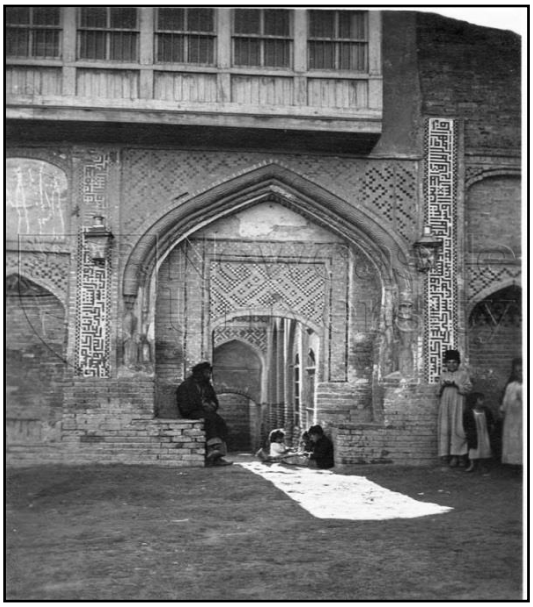

(الصورة – ٤) المدخل القديم لجامع وضريح السيد سلطان علي المطل على شارع الرشيد

أما الضريح فقوامه في الاصل حجرة مسقفة بقبة نصف كروية، لها مدخلان؛ الرئيس يتقدمه إيوان ينفتح على الصحن، والآخر صغير ينفذ إلى المصلى. وقد شهد الضريح صيانة دقيقة بدأت في عام (١٩٩٥م)، وقد حافظت على صورته الأصلية، باستثناء إيوان المدخل الذي كان مسقفا بنصف قبة ذات ضلوع آجرية محمولة على مثلثات ركنية مزينة بمقرنصات تتكون من حطات محفوفة بأطر مزججة.

والإيوان في الاصل مفتوح على الصحن بعقد. وقد ارتأى المعمار تحويل الايوان الى حجرة مغلقة مربعة الشكل طول ضلعها ٤.٦٠م بقصد الحفاظ على القبور التي جاءت طارئة

الى هذا الموضع[١٢]. ومن أجل تسقيف الحجرة المربعة أقام المعمار قبالتها نصف قبة أخرى تشبه الاولى تماما بالشكل والقياس. ليشكل من تلاحمهما قبة منخفضة على الطريقة البغدادية طاستها مزينة بضلوع مسنمة تنبثق من المقرنصات نفسها، ورؤوس الضلوع تتجمع في مركز القبة لترسم دائرة صغيرة. وللمحافظة على القبة الاصلية من عوامل التعرية وغيرها، غطيت بقبة اخرى نصف كروية مكسوة من الخارج بألواح مزججة زرقاء اللون (الصورة – ٥). ومن المفيد ذكره أن القباب المزدوجة فوق الاضرحة العراقية كثيرة منها على سبيل المثال ضريح الشيخ عمر السهروردي، وقبتا الاماميين عليهما السلام في الكاظمية. وقبة ناصر الدين في جامع السراي. والقبة المركزية في المقبرة الملكية.

أما مدفن السيد سلطان علي فقوامه حجرة مربعة طول ضلعها (٥م) طالتها الصيانة التي أجريت في تسعينيات القرن الماضي، والحجرة مسقفة بقبة نصف كروية تقوم على حنايا ركنية طويلة تنتهي بعقود مدببة. ولها رقبة عالية مزودة بنافذتين. وطبعي أن تشمل الصيانة المذكورة قبر السيد سلطان علي إذ غلف بالرخام الأبيض، واستحدث له شاهد كتب عليه بالحفر الغائر اسم المتوفى وتاريخ ولادته ووفاته. (المخطط –١)

١٢ –ويبدو أن غلق الايوان كان بقصد المحافظة على ما فيه من القبور. وهما قبران الاول لرجل صالح يعرف بالشيخ بهاء الدين محمد الرواس الصيادي الرفاعي (ت١٢٨٧هـ) وكان مرقده في فضوة دكاكين لبيع الحبوب بين محلتي حاج فتحي ومحلة راس الساقية، وقد جرى تعمير مرقده في عام (١٣١٥هـ) بواسطة شيخ الاسلام أبو الهدى الصيادي الرفاعي وبإشراف الشيخ ابراهيم الراوي. ثم هدم ضريحه على آثر توسيع شارع الجمهورية ونقل جثمانه في سنة (١٩٥٦م) ليدفن بالقرب من السيد سلطان علي. والقبر الثاني لمفتي الشافعية عبد الغفور أفندي الحيدري المتوفى في سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢م)

(الصورة – ٥) الواجهة الخارجية لضريح السيد سلطان علي

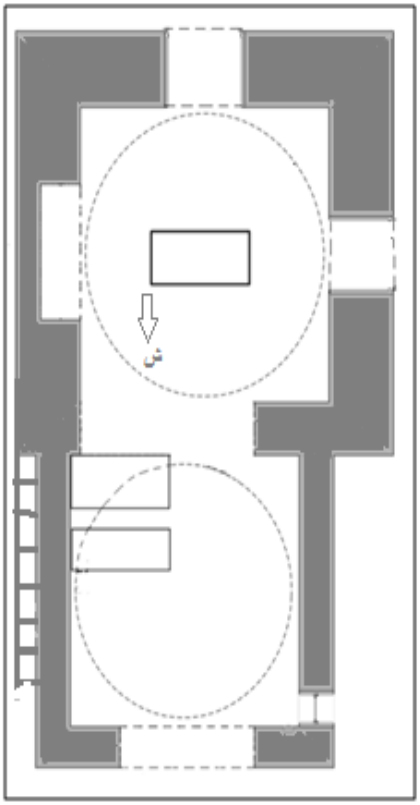

(المخطط –١) تخطيط ضريح السيد سلطان علي

لقد شملت اعمال السلطان عبد الحميد أيضاً تعمير الضريح. إذ توجد اليوم كتابات أثرية في داخل الضريح على شكل جدارية كبيرة من البلاطات المزججة مؤرخة في سنة (١٣١٠هـ) تحمل اسم السلطان عبد الحميد الثاني، ضمت تسعة ابيات من الشعر مكتوبة بالخط الثلث وهي مستطيلة متوجة بعقد مدبب (الصورة – ٦). وقد شغلت جزءها العلوي أو عقدها زخارف نباتية مرسومة بستة الوان على أرضية بيضاء، جلها ورود حمراء وصفراء متناثرة فوق أغصان تحمل أوراقاً خضراء ومعها أزهار بألوان متعددة. وقد حددت اللوحة بإطار كما حددت الكتابة بأشكال بيضوية مرسومة باللونين الاصفر والشذري، اما الكتابة فمنفذة باللون الابيض على أرضية سوداء ونصها:

الحمد لله الكريم الذي * بالفضل والاحسان عم العبيد
أظهر من مضمر ألطافه * لحوزة الاسلام ركنا مشيد
من آل عثمان نجوم الورى * فخر ملوك الأرض عبد الحميد

أصبح مصداقا لنصر أتى * يتلى جهاراً في الكتاب المجيد
منذ شاد اسنى أمره جامعاً * وتكية للطالب المستفيد
وحوله مدرستان ابتنتى * والمرقد السامي الشريف السعيد
لحضرة السلطان ذخري علي * والد مولانا الرفاعي الفريد
وعندما أبدع تكميله * وصار في الزوراء عيد جديد
أرّخ وقل: جدد تعميره * إمامنا العادل عبد الحميد ١٣١٠[١٣]

(الصورة –٦) جدارية من البلاطات المزججة تؤرخ لتجديد الضريح في عام (١٣١٠هـ)

ثالثاً: جامع الخاصكي:

يعود سبب انشاء هذا الجامع إلى وجود قبر في هذه البقعة من الارض منسوب لأحد الصالحين هو الشيخ محمد الازهري. الذي خلت مصادرنا العربية من ترجمة شافية له، وكل ما قيل عنه إنه من الاولياء العارفين، قادري الطريقة صاحب كرامات، ووالده من أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني[١٤]. وقد ترجم له مرتضى أفندي نظمي زاده (ت١١٣٦هـ) في جامع الانوار وقال عنه "هو أحد الاولياء العارفين، كان فريد زمانه بين أرباب السلوك ....

١٣ – هناك بعض الاختلاف في قراءة نصوص هذه اللوحة عند مؤرخي مساجد بغداد ولاسيما ما جاء في عجز البيت السابع (فخر بني الزهراء ذاك الفريد). انظر عبادة، العقد اللامع، ٣٩٧. الراوي، حير الزاد، ١٣٣.

١٤ – عباده، ، العقد اللامع، ٣٦٤

صاحب الشهرة الوافرة بالكرامات الفاخرة، توفي في بغداد ودفن بها في الجامع الشهير بالخاصكي"[١٥] ويرجح بعض الباحثين أنه الشيخ الفاضل تاج العلماء أبو البقاء محمد الأزهري الصريفيني من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[١٦].

أقام الجامع والي بغداد محمد باشا الخاصكي[١٧] (١٠٦٧ – ١٠٦٩هـ) بعد أن هدم ديراً أنشأه ثلاثة من الاباء الكبوشيين الفرنسيين في هذا الموضع بالعهد الصفوي الثاني (١٦٢٣ –١٦٣٨م). وقد وصفت مصادرنا المحلية هذا الجامع بأنه كبير، فيه مصلى رحب عليه قبة عالية، مزود بمئذنة رصينة وله صحن واسع فيه نخيلات، وكان مركز العلماء الافاضل وقبلتهم[١٨]. وثمة تعميرات أخرى أهمها ما قام به السلاحشور محمد بك سنة (١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م) الذي أتم نواقصه وجعله على أحسن صورة[١٩]، وثبت هذا العمل على لوحة من الرخام باللغة التركية العثمانية كانت معلقة على واجهة المصلى مكتوبة بخط التعليق. ثم رغب في تعميره السلطان عبد الحميد بعد أن آل الى الخراب، فعمرته الاوقاف السلطانية، وأرجعته إلى ما كان عليه، وذلك في سنة (١٣٠٩هـ / ١٨٩١م)[٢٠]. وقد أضيف إلى الجامع في هذه العمارة مدرسة استمر فيها التدريس لعقود عدة. ويبدو أن تعمير السلطان عبد الحميد استمر سنوات طويلة إذ مازالت المئذنة تحمل تاريخ الصيانة (١٣١٠هـ) والتاريخ مثبت عل لوح من القاشاني في أسفل شرفتها. وتاريخ آخر على شاهد قبر الازهري سنة (١٣١٥هـ). وهناك تعمير آخر للجامع أجرته الاوقاف العراقية في سنة (١٣٤٣هـ /

١٥ – البندنيجي، جامع الانوار، ٥٨٠.

١٦ – جواد، مصطفى ، "باب المكاتبة والمذاكرة"، مجلة لغة العرب، ج٨، السنة ٩، ٦١٣.

عبد الحميد عبادة، العقد اللامع، ٣٦٤، هامش٣.

١٧– هو محمد باشا الخاصكي تخرج من البلاط الهمايوني برتبة جوق دار وذلك في سنة (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) وصار رئيس الحرس، ثم عين واليا على الشام، وبعدها نقل واليا على مصر فبنى فيها جامع عرف بجامع ابو النور، ثم عزل وعين على الشام للمرة الثانية، وفي سنة (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) أصبح واليا على بغداد. عبادة، العقد اللامع، ٣٦٣.

١٨ – الراوي، خير الزاد، ١١٨.

١٩ – مرتضي، كلشن خلفا، (مترجم) موسى كاظم نورس، (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧١)، ٢٥٦.

٢٠ – الالوسي، محمود شكري ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، (بغداد: مطبعة دار السلام، ١٣٤٦هـ)، ٣٧

١٩٢٥م). وسنة (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م). وفيها استبدل سقف بيت الصلاة بآخر مستوٍ من الحديد (الشيلمان) والآجر[٢١].

وقبل سنوات بدأت الهيئة العامة للأوقاف بصيانة شاملة للجامع ولم تنته حتى اليوم (٢٠٢٢)، إذ طالت المحراب وقد غلف بألواح حديثة من السيراميك، وكسيت الارضيات بالرخام، ودهنت جدران بيت الصلاة بالدهان الأبيض كما غلفت واجهات الرواق والحيطان التي تحيط بالصحن بالآجر المنحوت وامتدت الصيانة إلى المدخل والمئذنة والقبر أيضا فقد كسي بالرخام.

فلم يبق اليوم في هذا الجامع شاهد على أعمال السلطان عبد الحميد الثاني سوى صيانة المئذنة وشاهد قبر الازهري. والحقيقة ان مئذنة الخاصكي قديمة يعود تاريخ بنائها الى عهد محمد باشا الخاصكي (١٠٦٧ – ١٠٦٩هـ / ١٦٥٦ – ١٦٥٨م)، أو ربما الى سنة (١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م) في عهد مبعوث الدولة العثمانية الى بغداد محمد بك الذي أتم نواقص الجامع وزخرفته[٢٢]. كما تشير الكتابة باللغة العثمانية التي كانت تعلو مدخل بيت الصلاة[٢٣]. وصيانتها في اواخر العصر العثماني وبالتحديد في سنة (١٣١٠هـ)، كما هو مثبت على حوضها وقمة بدنها بالآجر المزجج مع الكتابات بالخط الكوفي التي قوامها لفظة الجلالة (الله) واسم الرسول الكريم (محمد) صلى الله عليه وسلم مكررة بالتناوب[٢٤].(الصورة – ٧)

٢١ – نقل من جامع الخاصكي إلى المتحف العراقي أثران مهمان أولهما محراب يعتقد بأنه محراب جامع المنصور في المدينة المدورة، وثانيهما شباكين خشبيين يمثلان نوعاً من الصناعة العراقية القديمة. الراوي، خير الزاد، ١٢١، هامش ٢.

٢٢ – مرتظي، كلشن خلفا، ٢٥٦.

٢٣– اللوحة باللغة العثمانية التي تؤرخ تجديد الجامع سنة ١٠٩٤هـ والتي كانت معلقة على باب المصلى محفوظة اليوم بالتكية الخالدية القريبة من هذا الجامع، مع ترجم لها مثبتة على لوحة اخرى من الرخام ايضا.

٢٤ – يعتقد الدكتور علاء الدين احمد العاني ان بناء المئذنة تم في سنة ١٠٦٩هـ أو سنة ١٠٧٧هـ. أنظر: العاني، علاء الدين أحمد، مآذن مدينة السلام، أطروحة دكتوراة مقدمة الى قسم الاثار/ (جامعة بغداد، ١٩٩٢)، ٨١.

(الصورة – ٧) مئذنة جامع الخاصكي

رابعا: ضريح ابي بكر الشبلي:

تسببت أعمال الصيانة التي طرأت على هذا المعلم عبر الزمن بتغييرات كثيرة عليه. ولاسيما الصيانة الأخيرة التي نفذتها الأوقاف في عام ٢٠١٣.

وطبيعي أن تكون بعض أعمال الصيانة التي شهدها الضريح قديمة جداً لا نعلمها، ومنها حديث خلص خبرها إلينا عن طريق الشواهد الكتابية أو المصادر العربية، ويبدو أن أهم صيانة موثقة تمت في زمن والي بغداد حافظ باشا (١٢١٧ – ١٢٢٢هـ / ١٨٠٢ – ١٨٠٧م) وقد قام بها القاضي ببغداد (جلبي زادة السيد الحاج مصطفى أفندي) في عام ١٢١٨هـ. كما هو مكتوب على اللوحة الرخامية التي كانت مثبتة على قبر صاحب الضريح. وقد أزيلت هذه اللوحة من القبر منذ وقت بعيد، ورميت خارج المبنى.

وفي أعلى مدخل الضريح لوحة من الرخام الرمادي مثبتة بالبناء، تحمل اسم السلطان الغازي عبد الحميد خان مكتوبة باللغة العثمانية وهي مؤرخ في رمضان سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م). وهو آخر تجديد شامل شهده الضريح والمسجد في العصر العثماني. إذ يذكر عبد الحميد عبادة (ت١٩٣٠م) في العقد اللامع "أن المسجد كان قريباً من جامع الامام الأعظم فيه تصلى بعض الأوقات، وفيه إمام خصص له راتب من دائرة الأوقاف، وفي فناء هذا المسجد جُنينة صغيرة زاهية فيها أنواع الورود والأزهار، وبعد انهدام هذا المسجد عمره صاحب الخيرات المير الاي عمر شريف بك، وبنى على قبره قبة عُقدت بالحجارة والجص،

وقدام الحجرة طارمة. وعند ختام تعميره حرر تاريخه على رخامة وضعت على باب المرقد"[٢٥].

نسب الشيخ هاشم الأعظمي تجديد الضريح في عام (١٣١٩هـ / ١٩٠١م) إلى رجل تقي يحب الأولياء والصالحين من سكنة الأعظمية يعمل في الجيش العثماني برتبة رئيس أول واسمه (أمين فيضي) وهو في الأصل من أهالي السليمانية، وكان الضريح قد تداعت جدرانه وتصدع بناؤه فكتب للسلطان العثماني عبد الحميد يستأذنه على بناء المرقد على نفقة الجيش فأذن له. فباشر بالبناء بعد أن وضعت له خارطة تتكون من غرفة واسعة رصينة الجدران تقوم عليها قبة معقودة بالطابوق والجص يتقدمها رواق (طارمة) سقفها مستوٍ من الخشب والحصر وقد زود هذا الرواق بمحراب يؤشر اتجاه القبلة. وأضاف الى البناء من الناحية الشمالية حجرة صغيرة خصصت للسادن، وجعل أمام الطارمة حديقة واسعة تقدر مساحتها أكثر من ألف متر مربع أحيطت من ثلاث جهات بسياج مبني بالطابوق أيضا ارتفاعه ثلاثة أمتار تقريباً، وزود الضريح ببئر لشرب المارة وسقي الأشجار، إذ غرست في الحديقة النخيل وأشجار العنب والبرتقال. وقد وثق هذا العمل بكتابة على لوحة من الرخام مدهونة باللون الأخضر مثبتة فوق مدخل الضريح. وهي تشير الى تعميره في رمضان عام ١٣١٩هـ زمن السلطان عبد الحميد الثاني[٢٦].

فالبناء الذي نتعامل معه اليوم هو في الأصل ضريح قوامه حجرة مربعة تعلوها قبة، وأمام الحجرة مصلى لإقامة الأوقات الخمسة فيه، والمصلى على شكل رواق مسقف بسقف مستوٍ من الخشب. والبناء المذكور أقيم جميعه في أواخر العصر العثماني، أما قبل ذلك فليس لدينا معلومات عن طبيعة البناء الذي كان يقوم على ضريح الشبلي سوى رواية مقتضبة أوردها ابن الساعي البغدادي (ت٦٧٤هـ) إذ ذكر ان على قبره قبة عالية[٢٧]، واقتصرت المعلومات في مصادرنا على القبر والكتابة المدونة على الشاهد.

---

٢٥ – عبادة، العقد اللامع، ٥٠ – ٥١.

٢٦ – الاعظمي، هاشم ، تاريخ جامع الامام الاعظم ومساجد الاعظمية، (بغداد: مطبعة العاني، ١٣٨٥هـ–١٩٦٥م)، ٢/٢٢٨.

٢٧ – البغدادي، أبن الساعي ، المقابر والمشاهد بجانب مدينة السلام وموضع قبور خلفاء أئمة الإسلام، تحقيق أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، (بغداد:دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م)، ٣٦.

والحقيقة أنه لا يوجد خلاف كبير بين رواية عبد الحميد عبادة، ورواية هاشم الأعظمي، فكلاهما يعتقد أن البناء الحالي يعود إلى عام ١٣١٩هـ كما هو مدون على النقش الكتابي بخط الثلث. (الصورة – ٨) والاختلاف في روايتهما ينحصر في اسم المشرف على البناء فعبادة يذكر أن الأمر العسكري العميد (المير آلاي)[٢٨] عمر شريف بيك هو الذي جدد بناء الضريح، ويبدو أن عبد الحميد عبادة (ت١٩٣٠م) استند إلى رواية بعض المعنيين بوصفه معاصراً للتجديد. في حين يشير هاشم الأعظمي إلى اسم ضابط آخر في الجيش العثماني برتبة ملازم أول كان مشرفاً على البناء اسمه أمين فيضي، والذي يهمنا من الروايتين أن الضريح الذي نحن بصدد دراسته يعود إلى سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م). وكان في العصر العثماني فيه مسجد على شكل رواق تقام فيه الأوقات الخمسة فقط، والمسجد يؤمه المصلون الذين يقيمون في المساكن المواجهة للضريح من الجهه الجنوبية الغربية وهي قريبة منه، ويبدو أن سقف المصلى قد سقط في سنة ١٩٥٥ فجدد بناؤه[٢٩]، وعلى آثر هذا التعمير أصبح المصلى مغلق الجوانب، على شكل قاعة مستطيلة مسقفة بالأسمنت والحديد بدل الخشب، أما حرم الضريح فكان محدداً بسياج مبني بالآجر، له باب يقود الى حديقة غناء لا يوجد في موضعها اليوم إلا بعض النخيلات، حيث اضحى المكان مزدحماً بالقبور، بعد تهديم السياج.

(الصورة –٨) لوح يؤرخ لتجديد الضريح في عام ١٣١٩هـ

٢٨ – مير: تعني أمر أو رئيس، و مير آلاي: تعني قائد أربعة طوابير. والكلمة في الاصل فارسية استعارها الاتراك ويبدو انها كانت تطلق على الضابط برتبة عميد. الأنسي، محمد علي، قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، (بيروت: مطبعة جريدت بيروت، ١٣١٨هـ)، ٥١٤.

٢٩ – يذكر الشيخ الاعظمي، أن سقف الرواق الذي يتقدم الضريح جدده الحاج محمود الكبيسي في عام ١٩٥٥م، على نفقته الخاصة. هاشم الاعظمي ، تاريخ جامعة الامام الاعظم، ٢٢٩.

خامساً: التكية البندنيجية:

تقع التكية البندنيجية في محلة باب الشيخ ضمن ما يعرف بـ "فضوة عرب" تتصل بشارع الشيخ عمر عن طريق ساحة واسعة، وهي غير بعيده من مقبرة الغزالي. وقد آثر الناس تسميتها بتكية المندلاوي.

وبحسب الوقفية التي أوقفها مؤسس هذه التكية الشيخ علي بن إبراهيم القادري البندنيجي المؤرخة في (١٥ محرم سنة ١١٥٦هـ) الموافق (١٠ نيسان سنة ١٧٤٣م) والمتمثلة ببستان في ناحية مندلجين (مندلي)، يكون تأسيس هذه التكية قريبا من هذا التاريخ. ويبدو إن التكية مشيدة على أرض لبناية قديمة تعود للعصر العباسي، وقد وصفت التكية بأنها ذات قبة عظيمة مبنية باللبن قائمة على المصلى تضاهي قبة الشيخ عبد القادر الجيلي. وبسبب تداعي القبة وجميع أبنية التكية، فقد جددت بأمر السلطان عبد الحميد في سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م). إذ اضطلعت دائرة أوقاف بغداد حينذاك بهذه المهمة فشيدت التكية التي نراها اليوم ماثلة للعيان[٣٠].

(الصورة – ٩) الصحن والرواق في التكية البندنيجية

يعتمد تخطيط التكية على صحن واسع تحيط به الوحدات البنائية من ثلاث جهات، أهمها الجناح الجنوبي الذي يضم بيتاً للصلاة قوامه قاعة مربعة مغطاة بقبة واحدة ارتفاعها لا

٣٠ – الراوي، خير الزاد، ١٧١

أثناء زيارة الباحث للتكية بتاريخ ٢٠١٥.٣.٦ وجدها مغلقة بسبب أعمال الصيانة الشاملة، وقد شملت الصيانة المصلى وضريح المؤسس وبعض المرافق المكملة.

يقل عن خمسة أمتار، يتقدمه رواق ينفتح على الصحن بعقود مدببة تستند على أعمدة (الصورة – ٩). وبيت الصلاة مربع طول ضلعه (٧.٧٠م) مغطى بقبة كبيرة تقوم على مثلثات كروية مزينة بزخارف هندسية. وبجانب بيت الصلاة ضريح المؤسس ويتكون من حجرة مربعة يتقدمها إيوان ينفتح على الخارج بعقد مدبب[٣١]. فضلا عن مجموعة من الحجرات شغلت الجناحين الشرقي والغربي مسقفة بالأقبية أو القباب، كانت في الأصل خلوات للمريدين من أهل الطريقة، ثم تحولت إلى مقابر خاصة لدفن كبار الشخصيات المهمة من العائلة البندنجية أو من المقربين إليهم، كما يضم الصحن حديقة وبئراً قديماً وميضأة. (الصورة – ١٠).

يرقد السيد علي البندنيجي بحجرة تقع بجانب بيت الصلاة من الجهة الشرقية، يتوسطها قبر مغطى بصندوق خشب كُسي بغطاء من القماش الأخضر، وحجرة الدفن مربعة الشكل طول ضلعها ٤م تعلوها قبة ضحلة بُنيت بالآجر تقوم على مقرنصات على شكل مثلثات ركنية كبيرة تحصر في داخلها معينات بحطتين، تحول بواسطتها الهيكل المربع إلى دائرة في جزئها العلوي لتستند عليها حواف القبة. ولم يقتصر هذا النوع من المقرنصات على قباب الأضرحة بل تعداها إلى اغلب القباب التي علت الأبنية المتبقية من العصر العثماني ومنها الأسواق والخانات والمساجد[٣٢].

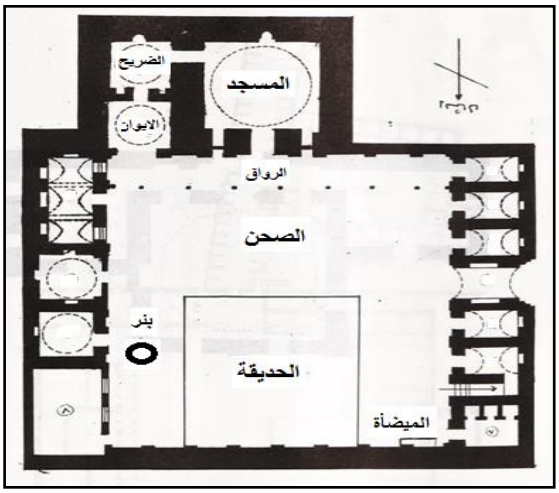

(المخطط – ٢) مخطط التكية البندنيجية / عن حميد محمد حسن

٣١ – الدراجي، حميد محمد حسن ، الربط والتكايا البغدادية في العهد العثماني، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م)، ٧٩.

٣٢– الدراجي، سعدي إبراهيم، خانات بغداد في العهد العثماني، (بغداد: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣)، ١٥٥.

(الصورة – ١٠) بيت الصلاة من الداخل قبل الصيانة

ضمت التكية في الجناحين الشمالي والجنوبي على مجموعة من الحجرات بعضها كان مخصصا لإقامة المريدين وطلاب العلم والمؤذن والخادم والمرشد، وبعضها الآخر مكملات خدمية مثل المطبخ والمياضي ودورات المياه، إلا أن بعض الحجرات تحولت في فترات لاحقة إلى مدافن خاصة لشخصيات من أسرة المؤسس نفسها أو من المريدين، ومنها على سبيل المثال الحاج أمين بك كاتب الخزينة في نهاية القرن ١٩م وقد توفي في سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، تلاه ولده نوري بك رئيس كتاب بلدية بغداد، ووفاته في سنة (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م). ومن أهم الشخصيات الأخرى المدفونة فيها هو العالم الشيخ عيسى صفاء الدين البندنيجي ووفاته في سنة (١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م)[٣٣].

والحقيقة ان قبور المريدين والعلماء في هذه التكية مجددة، وقد طال التجديد شواهدها القديمة فاستبدلت بشواهد حديثة. باستثناء شاهد المؤسس موضوع الدراسة المثبت بالبناء داخل الإيوان فوق المدخل المؤدي إلى حجرة الضريح.

سادساً: جامع الشيخ معروف الكرخي:

يعد جامع الشيخ معروف الكرخي وضريحه أحد المعالم الاثرية في بغداد، ويقع في وسط المقبرة التي تنسب الى الشيخ معروف بن فيروز الكرخي، أبي محفوظ من موالي الامام علي الرضا بن موسى الكاظم (رض)، كان من أعلام الزهاد الصالحين المتصوفين توفي

٣٣ – سركيس، يعقوب ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط المدن، القسم الأول، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٣٦٧– ١٩٤٨)، ٢٥٦.

الدروبي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ٣٣٦.

ببغداد سنة ٢٠٠هـ على أرجح الأراء[٣٤]. وتقع في الجانب الغربي كانت تعرف بمقبرة باب الدير لمجاورتها دير قديم للنصارى كان قائما في تلك البقعة يعرف بدير كليليشوع أو بدير الجاثليق[٣٥]. وقد دفن الشيخ معروف الكرخي قريبا من هذا الدير فصار حول قبره فيما بعد مقبرة اخذت بالاتساع حتى أضحت من كبريات مقابر بغداد. وضريحه مشهور يأتيه الناس من كل حدب وصوب، قال عنه ابن الساعي البغدادي (ت٦٧٤هـ) "قبره يزار ويتبّرك به، وتُسأل عنده الحوائج فتقضى، ويعرف بالترياق المجرب"[٣٦]. "عليه قبة حسنة، فيها قناديل من الفضة، وحوله مسجد معلق تقام فيه الجماعة في الصلوات الخمس"[٣٧].

وقد شهد الجامع والضريح تعميرات متوالية في كل العصور ولاسيما في العصر العثماني حيث تنافس ولاة بغداد على تعميره لما لهذا العمل عندهم من شرف. إذ انشئت على قبره في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي قبة واروقة مسقفة بالخشب والحصران المصنوعة من شرائح القصب(البواري) فاحترقت في سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٧م)[٣٨]. وعلى اثرها امر الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ – ٤٦٧هـ / ١٠٣١ – ١٠٧٥م) بتعمير الضريح وتجديده. وبجانب الضريح مسجد عرف بمسجد الجنائز أو مسجد الخضر. وقد اختفى هذا المسجد حينما امر الخليفة الناصر لدين الله العباسي انشاء جامع كبير على مرقده إثر وفاة ابنه الملك المعظم الذي دفن بقرب قبر الشيخ معروف. وفي هذه العمارة ادخل الضريح داخل المسجد. وزوده بمئذنة ما تزال قائمة وهي تحمل تاريخ التجديد (٦١٢هـ / ١٢١٥م)[٣٩].

---

٣٤ – ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (محقق) محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، ١٠/ ٨٨

٣٥ – الاصبهاني، ابو فرج علي بن الحسين ، الديارات، "المكتبة الشاملة"، ٥/١.

ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ)، ٥٥٥/٢.

٣٦ – البغدادي، المقابر والمشاهد، ٣١.

٣٧ – المصدر نفسه، ٥١.

٣٨ – ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٩هـ خبر احتراق ضريح الشيخ معروف "وكان السبب أن القيم بها كان مريضا فطبخ له شعيرا، فبعدت النار إلى خشب وبواري هناك، وارتفعت إلى السقوف، فأتت على الكل فاحترقت القبة والساباط، وجميع ما كان، ثم أمر القائم بأمر الله بعمارة المكان. المنتظم، ١٠٢/١٦.

٣٩ – تاريخ بناء المئذنة منقوش في الآجر بخط بارز داخل حنية تقع ضمن صفوف المقرنصات التي ترفع حوض المئذنة ونصها: "بنيت هذه المنارة سنة اثنتي عشر وستمائة".

(الصورتان – ١١ ، ١٢) وفي العصر العثماني جددت عمارته مرات كثيرة؛منها ما قام به والي

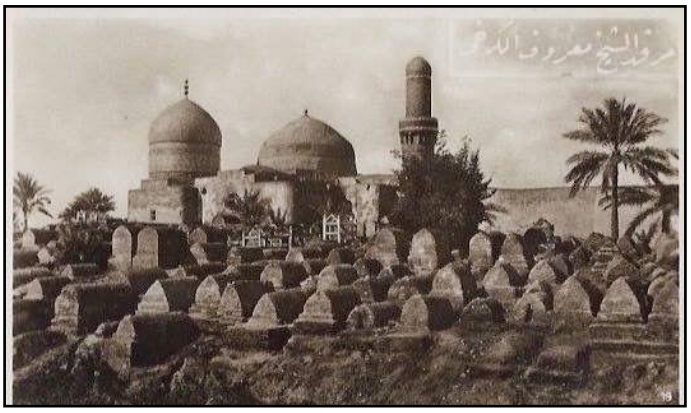

(الصورة – ١١) صورة قديمة لضريح الشيخ معروف

(الصورة – ١٢) الطريق القديم المؤدي الى ضريح الشيخ معروف

(الصورة – ١٣) كتابة تشير الى تعمير جامع الشيخ معروف الكرخي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

بغداد أحمد السلاحدار سنة (١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م). ووالي بغداد عبد الرحمن باشا في سنة (١٠٨٦هـ / ١٦٧٥م). ووالي بغداد عمر باشا في سنة (١١٠٠هـ / ١٦٨٨م)[٤٠]. وآخرهم الوالي حسن رفيق باشا (١٨٩١ – ١٨٩٦م) الذي رمم الجامع وأصلحه وزخرف المصلى وكتب على القبة آية الكرسي وكتب فوق المحراب أيضا، وبُني على قبر الشيخ معروف قبة وجدد الباب الخارجي ووضع فوقه رخامة كتب عليها ستة أبيات بالتركية العثمانية مكتوبة بحروف بارزة بخط النسخ تعليق[٤١]. والكتابة متوجة بطغراء السلطان عبد الحميد الثاني، ومحفوفة من الجانبين بزخرفة نباتية قوامها اغصان حلزونية مكررة ينتهي كل منها بزهرة صغيرة. والزخرفة في كل جانب متوجة بكوز صنوبر. وكي تكتمل صورة هذا التكوين الزخرفي من جميع جوانبها الفنية جعل العناصر تخرج من اصص مصمم على شكل زهرة كاسية تنبت من عقد مفصص. واللوحة الرخامية المذكورة مدهونة باللون الاخضر أما الكتابة فمدهونة باللون الذهبي. وهي مازالت معلقة فوق احد المداخل القديمة في الجامع ومؤرخة في عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م). وهذا التاريخ ورد في عجز البيت الاخير على وفق حساب الجُمل، وتكرر في اسفل النص رقماً. (الصورة – ١٣)

(الصورة – ١٤) جامع وضريح الشيخ معروف المشيد عام ٢٠٠١

٤٠ – رؤوف، عماد عبد السلام ، معالم بغداد في القرون المتأخرة، (بغداد: مطابع هيئة ادارة واستثمار أموال الوقف السني، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م)،٢٤٩

٤١ – الكتابة حول القبة من الداخل وفوق المحراب كانت بقلم الخطاط المشهور التركي عثمان ياور، ولعل حسن باشا استقدمه لهذا الامر. انظر: محمد سعيد الراوي، خير الزاد، ٤٦٥.

كما قامت وزارة الاوقاف العراقية في عام (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦) بصيانته هذا الجامع واعماره. بيد أن أهم الاعمال التي شهدها الجامع والضريح تلك المنفذة في عام (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م)، وهو تعمير شامل ضاعف مساحته وأضاف اليه مرافق جديدة ومئذنة، والحقيقة أن التجديد المذكور قد غير من معالمه القديمة حتى أضحى جامعا ومرقدا لا يمت إلى الاصل بصلة. مع المحافظة على بعض عناصره المهمة ومنها المئذنة المؤرخة في سنة ٦١٢هـ (١٢١٥م). (الصورة – ١٤)

سابعاً: جامع العاقولية:

سمي بهذا الاسم نسبة الى المحلة التي اكتسبت اسمها منه. وهي مجاورة لمحلة الحيدر خانه. ويقع الجامع في درب العاقولية المعروف في العصر العباسي بدرب الخبازين. وهو محصور بين شارع الرشيد وشارع الخلفاء أو شارع الجمهورية.

والجامع منسوب الى مؤسسه جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي العاقولي الواسطي الشافعي ولد ببغداد سنة (٦٣٨هـ) وعين قاضي القضاة ودرس في المستنصرية (٤٠) سنة وتوفي في سنة (٧٢٨هـ). اوقف داره لأيتام يقرؤون فيها القرآن. ثم رتبت هذه الدار لتصبح مدرسة لتعليم علوم القرآن. بعد أن اوقف عليها املاكه. والمدرسة المذكورة قد صارت فيما بعد جامعا ينسب الى دفينها ابن العاقولي[٤٢].

لقد تعرض الجامع الى تجديدات كثيرة. قام بها ثلة من الولاة وارباب الخيرات، كما تشير الكتابة المثبتة على جدرانه بالخط التركي العثماني. واهمها ما قام به أحد امراء الدولة العثمانية المدعو (محمد) في عام (١٠٩٥هـ)[٤٣]. ثم أصلحه وعمره أول ولاة المماليك في بغداد سليمان باشا ابو ليلة وذلك في سنة (١١٦٣هـ / ١٧٥٠م)[٤٤]. ويبدو أن الجامع قد صار الى الخراب فبدأ الهدم في مصلاه سنة (١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) ثم تهدم بالكامل وبقي خاوياً مهجوراً حتى تولى أعادة بنائه نامق باشا واتمه في سنة (١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م)[٤٥].

---

٤٢ – ابن قاضي شهبة، ابو بكر بن احمد (ت٨٥١هـ)، طبقات الشافعية، (محقق) الحافظ عبد العليم خان، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ)، ٢/ ٢٦٣.

٤٣ – هذه التعميرة مؤرخة على لوح من الرخام بالخط العثماني تتكون من ستة اسطر.

٤٤ – هذه التعميرة التي تحمل اسم والي بغداد سليمان باشا أبو ليله مؤرخة بقصيدة تتكون من خمسة ابيات منقوشة بخط الثلث على لوحة كبيرة من الرخام ومعلقة على الجدار المطل على الصحن.

٤٥ – الراوي، خير الزاد ، ٢٣٥. عبد الحميد عبادة، العقد اللامع، ص ٢٢٩.

ومن المفيد ذكره أن العلامة محمد سعيد الراوي (ت١٩٣٦) قد أدرك في شبابه هذا الجامع وكان خربة لانهدام المصلى وبقاء الرواق وحده متداعياً. وعندما تولى بغداد نامق باشا الذي استحصل امرا سلطانياً من السلطان عبد الحميد الثاني بإعادة بنائه. فبنى مصلاه وسقفه بصفين من القباب قائمة في الوسط على أربعة أعمدة من الرخام، واقام امام المصلى رواق. وفي هذه التعميرة فرشت ارضية الجامع بالآجر وكسيت جدرانه بالجص. وطال التجديد ضريح الشيخ جمال الدين العاقولي. وقد فرغ من هذا العمل في سنة ١٣٢٠هـ. وفتح باحتفال كبير حضره الوالي والعلماء والاشراف والاعيان بعد أن فرش بالحصر والبسط والسجاد[٤٦]. وقد حررت هذه الاعمال على بلاطات من القاشاني[٤٧] ونصها: "بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّمَا يَعمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱليَومِ ٱلأَٰخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَم يَخشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلمُهتَدِينَ"[٤٨] . أمر بعمارة مصلى هذا المسجد المبارك المعقود على دعائم اربع من الرخام مع رواقه البديع النظام، وهو مسجد شيخ الاسلام العارف بالله الشيخ عبد الله العاقولي عليه الرحمة والرضوان، إمام المسلمين، وأمير المؤمنين، السلطان الغازي عبد الحميد خان بن السلطان الغازي عبد المجيد خان، خلد الله دولته على تعاقب الازمان، وذلك سنة ١٣٢٠ الهلالية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليماً)[٤٩].

ومن الملاحظ أن هذا الجامع ما زال يحتفظ بالنقوش الكتابية التي تؤرخ تجديده مرات عدة. اذ حرص المجددون على أعادة تثبيت اللوحات القديمة التي تشير الى اصلاحه وتجديدة على يد بعض الولاة العثمانيين كما اسلفنا. أما ما يخص اللوحة التي تشير الى اعمال السلطان عبد الحميد الثاني بولاية نامق باشا والتي نقلها محمود شكري الالوسي فيبدو أنها لم تنفذ فعلا، بل استبدلت بعد وفاة الوالي بلوحة اخرى مثبتة فوق أحد المداخل التي تقود الى بيت الصلاة، وهي تشير الى التجديد الاخير الذي تم على نفقة الاوقاف السلطانية وقد امر به

٤٦ – الراوي، خير الزاد، ٢٣٨

٤٧ – عبادة، العقد اللامع، ص٢٣٠.

٤٨ – سورة التوبة، الاية ١٨.

٤٩– ذكر كل من محمود شكري الالوسي ومحمد سعيد الراوي ان الكتابة لم تنفذ على القاشاني او الحجر ولم تعلق على الجدران بسبب عزل نامق باشا. ويبدو أنها لم تنفذ إذ لا وجود لها اليوم في الجامع. انظر: الالوسي، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، ٤٩ الراوي ، خير الزاد، ٢٤١.

(حضرة السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني). وقوام اللوحة تجميعة من البلاطات المزججة باللون الازرق عليها نص مكتوب باللغة العثمانية يتكون من اربعة اسطر بخط الثلث. واللوحة من الاعلى متوجة بطغراء السلطان عبد الحميد تكتنفها من الجانبين زخرفة نباتية عبارة عن اغصان رسمت باللون الاصفر تحمل اوراق خضراء اللون وازهار باللون الاحمر. علماً أن اللوحة مؤرخة في عام (١٣٢٢هـ) وربما هذا التاريخ يشير الى نهاية الاعمال العمرانية في هذا الجامع. (الصورة – ١٥) الذي أصبح قوامه بيت صلاة يتكون من اسكوبين مسقفين بعشر قباب صغيرة تستند من الاطراف على الجدران وفي الوسط على أربعة اعمدة من الرخام تعلوها تيجان مزينة بزخارف نباتية، وامام بيت الصلاة رواق ينفتح على الصحن بعقود والرواق مسقف بقبيبات صغيرة أيضاً.

وقد قام ديوان الوقف السني في عام (٢٠١١) بصيانة شاملة لجامع العاقولي وضريحه، حافظ أثنائها على تخطيط الجامع وطراز عمارته، فكسي بيت الصلاة بالجص والدهان وجدد المحراب والمنبر، واستعان المشرفون على الصيانة بعقود مدببة من الحديد حشرت تحت العقود الاصلية للمساعدة في حمل السقوق. وهي محاولة ناجحة أضفت على عقود بيت الصلاة نوعا من الحركة وأسهمت في زيادة عامل الامان. كما طالت الصيانة الاخيرة أيضاً ضريح الشيخ جمال الدين العاقولي الذي يقع على يسار الداخل الى بيت الصلاة. (الصورة – ١٦)

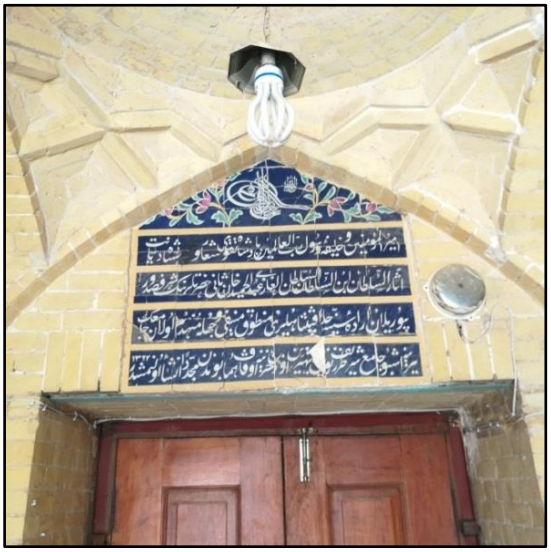

(الصورة – ١٥) لوحة من البلاطات الخزفية تشير الى اعمال السلطان عبد الحميد في جامع العاقولية

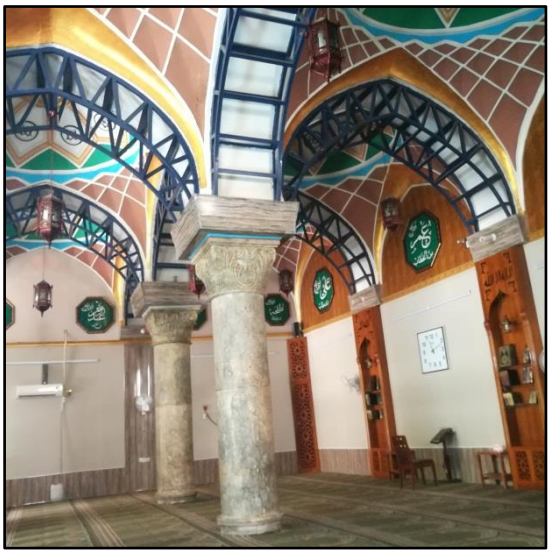

(الصورة – ١٦) بيت الصلاة في جامع العاقولية

الخاتمة

أفضت الدراسة إلى نتائج يمكن حصرها بالنقاط الأتية:

– إن فائدة الموضوع تكمن في توثيق مجموعة طيبة من الاضرحة والجوامع التي مازالت قائمة في بغداد وداخل مؤسساتها الدينية، ودراستها سوف تحفظها من الضياع وتسهم في احيائها، وتساعد المعنيين في حقل الاثار على إدراك أهميتها التاريخية والحضارية بوصفها تراث مادي وثروة في مجال العمارة والفنون.

ـ اكدت الدراسة أنّ الكثير من الامثلة المبنية أو المجددة في القرن التاسع عشر قد تغيرت

بسبب التقادم والإهمال والحروب أو التجديد بمسوغ الحداثة، وذلك لعدم إدراك أهميتها التاريخية والحضارية بوصفها معالم تراثية مهمة.

ـ لقد تابع البحث أعمال الصيانة والتجديد في الامثلة المبنية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وما طرأ عليها من تغييرات في العقود الاخيرة. وتوثيق ذلك من خلال المصادر والكتابات التذكارية التي كانت مدونة على لوحات الرخام.

ـ سعى الباحث أثناء الدراسة الميدانية الى قراءة بعض الكتابات التي تؤرخ للابنية موضوع الدراسة، وتوثيق بعض اللوحات التي تشير الى تاريخ البناء واسم الباني. مع بيان نوع الخط والزخرفة وتدوين النص وضبطه.

ـ إن جل الدراسة تعتمد على العمل الميداني الذي شمل جوامع وأضرحة كثيرة في

بغداد وتوثيق بقايا الآثار فيها.

_ ورغم اهمية الامثلة المعنية في هذه الدراسة في مدينة بغداد بوصفها تمثل ذاكرتها التاريخية لاحتوائها على أضرحة مشاهير أهل الصلاح ورجال العلم. إلا أنها ضحية تطور التخطيط العمراني والتجديد، مما استلزم رعايتها والمحافظة عليها من التجاوزات الطارئة. وإعادة تأهيلها، وأجراء صيانة علمية للمتضرر منها.

المصادر

- ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (محقق) محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)،
- ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ)،
- ابن قاضي شهبة، ابو بكر بن احمد (ت٨٥١هـ)، طبقات الشافعية، (محقق) الحافظ عبد العليم خان، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ)
- الأثري، محمد بهجة ، اعلام العراق، (مصر: المطبعة السلفية، ١٣٤٥هـ).
- الاصبهاني، ابو فرج علي بن الحسين ، الديارات، "المكتبة الشاملة"،
- الاعظمي، هاشم ، تاريخ جامع الامام الاعظم ومساجد الاعظمية، (بغداد: مطبعة العاني، ١٣٨٥هـ–١٩٦٥م).
- الالوسي، محمود شكري ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، (بغداد: مطبعة دار السلام، ١٣٤٦هـ)
- الأنسي، محمد علي، قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، (بيروت: مطبعة جريدت بيروت، ١٣١٨هـ).
- البغدادي، أبن الساعي ، المقابر والمشاهد بجانب مدينة السلام وموضع قبور خلفاء أئمة الإسلام، (محقق) أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، (بغداد: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م).
- البندنيجي، عيسى صفاء الدين ، جامع الانوار في مناقب الأخيار والأعيان المدفونيين في بغداد وما جاورها من البلاد، (بغداد: دار الكتب العلمية، ، ٢٠١٣).
- جواد، مصطفى ، "باب المكاتبة والمذاكرة"، مجلة لغة العرب، ج٨، السنة ٩.
- الدراجي، حميد محمد حسن ، الربط والتكايا البغدادية في العهد العثماني، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م).
- الدراجي، سعدي إبراهيم ، خانات بغداد في العهد العثماني، (بغداد: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣).
- الدروبي، ابراهيم ، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٨).
- الراوي، محمد سعيد ، خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد، (محقق) عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: دار الكتب العلمية، ، ٢٠١٣).
- رؤوف، عماد عبد السلام ، معالم بغداد في القرون المتأخرة، (بغداد: مطابع هيئة ادارة واستثمار أموال

الوقف السني، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م)،
- سركيس، يعقوب ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط المدن، القسم الأول، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٣٦٧– ١٩٤٨).
- العاني، علاء الدين أحمد ، مآذن مدينة السلام، أطروحة دكتوراة مقدمة الى قسم الاثار/ جامعة بغداد، ١٩٩٢.
- عبادة، عبد الحميد ، العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع، (محقق) عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: مطبعة أنوار دجلة، ٢٠٠٤).
- مرتضي، كلشن خلفا، (مترجم) موسى كاظم نورس، (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧١).

English Reference

• Ibn al-Jawzi, the Regular in the History of Kings and Nations, (investigator) Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1412 AH - 1992 AD),
• Ibn Abd al-Haqq, Observatories of Seeing the Names of Places and Bekaa, (Beirut: Dar al-Jil, 1412 AH),
• Ibn Qadi Shahba, Abu Bakr bin Ahmad (d. 851 AH), Tabaqat al-Shafi'i, (authored) Al-Hafiz Abd al-Alim Khan (Beirut: World of Books, 1407 AH)
• Al-Athari, Muhammad Bahja, Flags of Iraq, (Egypt: The Salafi Press, 1345 AH).
• Al-Asbahani, Abu Faraj Ali bin Al-Hussein, Al-Diyarat, "The Comprehensive Library",
Al-Azami, Hashem, History of the Great Imam Mosque and Al-Adhamiya Mosques, (Baghdad: Al-Ani Press, 1385 AH-1965 AD).
• Al-Alusi, Mahmoud Shukri, The History and Antiquities of Baghdad Mosques, (Baghdad: Dar Al-Salam Press, 1346 AH)
• Al-Ansi, Muhammad Ali, The Dictionary of the Ottoman Language, called Al-Darari Al-Ma`ayat fi Al-Muntakhlat Al-Lughat, (Beirut: Beirut Newspaper Press, 1318 AH).
• Al-Baghdadi, Ibn Al-Sa'i, Cemeteries and Scenes next to the City of Peace and the place of the graves of the caliphs of the imams of Islam, (investigator) Ahmed Shawqi Benbin and Muhammad Saeed Hanshi, (Baghdad: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1434 AH - 2013 AD).
• Al-Bandniji, Issa Safaa Al-Din, Jami' Al-Anwar in the Virtues of the Good and Notables Buried in Baghdad and its Environs from the Country, (Baghdad: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 2013).
• Jawad, Mustafa, "Chapter of Correspondence and Study", Language of the Arabs Magazine, Part 8, Year 9.
• Al-Daraji, Hamid Muhammad Hassan, Al-Rabat and Al-Baghdadi Al-Takaya in the Ottoman Era, (Baghdad: General Cultural Affairs House, 2001 AD).
• Al-Daradji, Saadi Ibrahim, Khans of Baghdad in the Ottoman Era, (Baghdad: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1993).
• Al-Droubi, Ibrahim, The Baghdadis, Their News and Councils, (Baghdad: Al-Rabita Press, 1958).

•Al Rawi, Muhammad Saeed, Khair al-Zad in the history of mosques and mosques in Baghdad, (investigator) Imad Abd al-Salam Raouf, (Baghdad: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2013).
Raouf, Imad Abdel Salam, Landmarks of Baghdad in the Later Centuries, (Baghdad: Printing Press of the Sunni Endowment Management and Investment Authority, 1438 AH / 2016 AD),
• Sarkis, Yaqoub, Iraqi investigations in geography, history, antiquities, and city plans, Part One, (Baghdad: Trading and Printing Company Ltd., 1367-1948).
• Al-Ani, Aladdin Ahmed, Minarets of the City of Peace, a doctoral thesis submitted to the Department of Archeology / University of Baghdad, 1992.
• Ubadah, Abd al-Hamid, The Brilliant Contract in the Antiquities of Baghdad, Mosques and Mosques, (investigator) Imad Abd al-Salam Raouf, (Baghdad: Anwar Dijla Press, 2004).
• Mortada, Kalshin Khalafah, (translator) Musa Kazem Nawras, (Najaf: Al-Adab Press, 1971).